حركة المعنى في سورة الانفطار
دراسة بلاغية

✍ إعداد الدكتورة

فاطمة عبد المجيد عبد المجيد هنداوي جعفر

أستاذ مساعد بلاغة ونقد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة

FatmaHindawy1507.el@azhar.edu.eg

حركة المعنى فى سورة الانفطار (دراسة بلاغية)

فاطمة عبد المجيد عبد المجيد هنداوي جعفر
قسم البلاغة والنقد – كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة – جامعة الأزهر – مصر
البريد الاليكتروني :FatmaHindawy1507.el@azhar.edu.eg

الملخص :

هذا بحث بلاغى معنون بـ " حركة المعنى فى سورة الانفطار (دراسة بلاغية)، وليس البحث تفسيرا للسورة أو تحليلا لتراكيب السورة وإنما هو بحث يجمع بين دراسة أسلوب السورة وتحليله وتفسيره وبين توضيح لحركة المعنى فى هذه الأساليب بداية من مطلع السورة وحتى ختامها.

وقد كان المنهج المتبع منهجا استقرائيا استنباطيا، وقد جاء البحث فى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة. أما المقدمة فيها أهمية الموضوع وخطته ومنهجه، والتمهيد فيه نبذه عن المقصود بالمعنى القرآنى وحركة المعنى. المبحث الأول: فيه دراسة عن السورة وموضوعها وتناسبها مع ما قبلها وما بعدها وعلاقة المطلع بالمقصد فيها.

المبحث الثانى: ويتناول تحرير المعنى الأم فى السورة وبيان حركته من خلال تدبر الفروق البيانية بين المعانى.

ثم الخاتمة وفيها أهم نتائج البحث ثم المصادر والمراجع

الكلمات المفتاحية : سورة الانفطار– حركة المعنى – تناسب السور – الاعجاز البلاغي للتناسب.

❁❁❁❁❁

Movement of Meaning in Surat Al-Infitar - Rhetorical Study

Fatima Abdul Majeed Abdul Majeed Hindawi Jaafar
Department of Rhetoric and Criticism - Faculty of Islamic and Arab Studies for Girls in Cairo - Al-Azhar University - Egypt
Email: FatmaHindawy1507.el@azhar.edu.eg

Abstract

This is a rhetorical research entitled "The Movement of Meaning in Surat Al-Infitar (Rhetorical Study). The research is not an explanation of the surah or an analysis of its structure, but rather it is a research that combines the study of the surah phraseology and its interpretation and analysis with an explanation of the movement of meaning in this phraseology from the beginning of the surah to its conclusion. The method used in this research is an inductive and deductive approach, and the research is divided into an introduction, a preface, two chapters and a conclusion.

The introduction contains the importance of the subject, the plan and the method followed in the research. The preface contains an overview of what is meant by the Qur'anic meaning and the movement of meaning.

The first chapter includes a study on the surah, its subject matter, its suitability with what is preceding and following it, and the relationship of its beginning with its intent.

The second chapter deals with editing the main meaning in the surah and explaining its movement through understanding the rhetorical differences between the meanings.

Then the conclusion, which contains the most important research results, then the sources and references.

Keywords: Surat Al-Infitar - Movement of Meaning - Fit to Surah - The rhetorical miracle of proportionality

❁❁❁❁❁

قَالَ تَعَالَىٰ:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾

الانفطار: ١ - ١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله منزل القرآن، معلم القرآن، علم البيان، الفاتح عليه أبواب الفهم والتدبر والإمعان، والصلاة والسلام على النبى العدنان، أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واتبع سنته إلى يوم الدين.

فهذا بحث بلاغى بعنوان: "حركة المعنى فى سورة الانفطار" دراسة بلاغية، وليس البحث تفسيرا للسورة، ولا وقوف على تراكيب السورة ونظمها، وإنما هو بحث يجمع بين دراسة أسلوب السورة وتحليله بيانيا، للوقوف على المعنى المقالى والمقامى وبيان حركة المعنى فى هذه الأساليب بداية من مطلع السورة مرورا بمعاقدها وانتهاء بختامها.

وقد دفعنى لهذا البحث أمور عدة أجمل أهمها فيما يأتى:

١- أن السورة اشتملت على مفردات خاصة بها، لم تأت فى غيرها فانتظم فيها سلك المعنى المقصود، وهذا المعنى لن يتأتى إلا بالتدبر المتأنى والتأمل الواعى.

٢- لفت نظرى لهذه السورة بالذات- علما بأن مناط التحدى سورة من القرآن الكريم ولو قصرت- قوله تعالى:"يأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم" هذا العتاب الإلهى للإنسانية الذى لفت نظرى مذ حفظت السورة وأنا طفلة ثم بعد أن أدركت معناها، وما لهذه الآية من مشاعر نفسية تلوح بداخلى كلما سمعتها أو قرأتها.

٣- كان لحضور دورة فى علم التناسب القرآنى والتى حاضر فيها الأستاذ الدكتور/ محمود توفيق أثر كبير فى اختيار هذا النوع من البحث البلاغى، ساعدنى كذلك قراءتى لكتاب حركة المعنى فى سورة الفجر للأستاذ الدكتور/ إبراهيم الهدهد الذى بقراءتى لكتابه وضح معالم

المنهج فى ذهنى، فأردت بعد خوض أكثر من بحث بلاغى فى القرآن الكريم فى الماجستير والدكتوراه وأبحاث الترقية أن يكون هذا البحث فى هذا الجانب الإعجازى من كتاب الله، حيث كانت البحوث السابقة تبحث وتتعمق داخل النص مع مجرد ربط الآية بسابقتها ولاحقتها، لكن فى هذا البحث سيكون فيه ربط الآيات مع ربط السورة بما قبلها وما بعدها بل وربطها بفاتحة الكتاب، لأن القرآن الكريم نسق واحد، وهو مرتب هذا الترتيب من قبل الله، فالبحث فى أسرار الترتيب وأوجه المناسبة هو وجه من وجوه إعجازه، ألمح إليه السابقون وكتب فيه بعضهم، فأردت أن أخوض غمار البحث داعية المولى عز وجل أن يرزقنى الإخلاص، وأن يجنبنى الخطأ، وأن يكون فى ميزان حسناتى يوم الدين، والمنهج المتبع فى هذا البحث قائم على الاستقراء التام لكل ما كتبه السابقون والاستنباط من أقوالهم ما يدل البحث على المعنى المراد من السورة ومقصودها الأعظم، وكيف كانت حركته فى مطلع السورة ثم فى ثناياها إلى ختامها.

والمراقب لحركة المعنى فى السورة كمن يرقب مسرى النفس فى النفس، وكمن يحاول إبصار الماء فى شجرة تتشابك أغصانها وتتشعب جذورها، وكلاهما غيب، إلا أن الأغصان والأوراق والجذور تهدى إلى حركة الماء، وكذلك الجوارح تهدى إلى حركة النفس [1] والأمر فى ذلك عسير قل الصواب فيه وكثر الخطأ.

(١) حركة المعنى فى سورة الفجر: دراسة بلاغية د/ إبراهيم صلاح الهدهد – مكتبة وهبة ط٢ ٢٠١٩م ص٧

ولذا كان البحث مقسما كالآتى:

التمهيد: وفيه نبذة عما يقصد بالمعنى القرآنى، ومفهوم حركة المعنى وارتباطها بالدرس البلاغى.

المبحث الأول: وفيه نبذة عامة عن السورة وموضوعها وتناسبها مع ما قبلها وما بعدها، وعلاقة مطلع السورة بمقصدها وختامها.

المبحث الثانى: تحرير المعنى الأم فى السورة وبيان حركته من خلال تدبر الفروق البيانية بين المعانى فى السورة، وربط معاقد السورة ومعانيها الجزئية بالمعنى الأم.

الخاتمة: وفيها بيان كيف انتظمت حركة المعنى فى السورة من مطلعها وحتى حط المعنى رحاله فى آخر السورة.

ثم قائمة المصادر والمراجع.

أسأل الله التوفيق والسداد، وإن جانبنى الصواب فيكفى أن أنال حظ المجتهد المخطئ، إذ يكفينى أنى اجتهدت، ولعلى فتحت لغيرى بابا يلج منه إلى الفهم الصحيح، الذى لم أوفق إليه، وأن أسير على درب أساتذتى الذين تعلمت منهم أن العلم مذاكرة دؤوب، وفهم وتدبر لا يتوقف عند حدود النص، وإنما سبر لغور المعنى ومحاولة استجلاء دقائق النص لاستطلاع أسراره وخباياه.

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

❁❁❁❁❁

التمهيد

المعنى هو الروح التى تسرى فى القصيدة أو المقطوعة الأدبية، ومن قبل كل ذلك فى السور القرآنية، فلكل قصيدة أو رسالة أو مقطوعة مقصد وهدف تسعى القصيدة بتراكيبها إليه، وتتظاهر الجمل ببنائها وعلائقها فى الكشف عن هذا الغرض، فيسرى المعنى فى الكلام مسرى النفس فى النفس كما قال الأئمة، وتشى التراكيب بأحوال كاتبيها وهواجسهم، يتحسس الذائقون هذه الأحوال فى الصياغة، وكلما شرف الكلام ونبل وعلا، استغلقت أسراره فلم تنكشف لكل أحد إلا لأهل البصر بالكلام، الذين يبحثون عن مراد المتكلم وما خالط هذا المراد من أحوال النفس. من أجل هذا كان التعرف على حقيقة المعنى من تراكيب الكلام من الخطر بمكان.

هذا عن خطر التعرف على المراد، وأخطر منه أن تبصر المقصد، وكيف قذف به الشاعر أو الأديب فى صدر كلامه ثم تهدر الكلام من بعد ذلك شرحا للمقصد أو تفصيلا له أو إثباتا له... والأمر من الخطر كما ترى.(١)

هذا خطر البحث فى كلام الناس... فكيف بالبحث فى كلام رب الناس، والباحث فى كتاب الله يجد أن السورة من القرآن الكريم لها جذر فى فاتحة الكتاب وجذورها متشعبة فى كل الكتاب الكريم، والعلائق بين السور كالعلائق بين جذور أشجار الحديقة الواحدة، كما ذكر البقاعى رحمه الله إذ يقول:"السورة كالشجرة النضيرة العالية والدوحة البهيجة الأنيقة الخالبة المزينة بأنواع الزينة، المنظومة بعد أنيق الورق بأفنان الدرر، وأفنانها منعطفة إلى تلك المقاطع كالدوائر، وكل دائرة منها لها شعبة متصلة بما قبلها وشعبة ملتحمة بما بعدها، وآخر السورة قد واصل أولها، كما لاحم انتهاؤها ما بعدها

(١) حركة المعنى فى سورة الفجر ص٩،١٠

وعانق ابتداؤها ما قبلها، فصارت كل سورة دائرة كبرى مشتملة على دوائر الآيات الغر البديعة النظم، العجيبة الضم بلين تعاطف أفنانها، وحسن تواصل ثمارها وأغصانها، ولأجل اختلاف مقاصد السور تتغير نظوم القصص وألفاظها بحسب الأسلوب المفيد للدلالة على ذلك القصد.(١)

وقد عد العلماء النظر فى تركيب كل جملة بمفردها والوقوف على أسرارها طريقا للإعجاز، وعدوا الوقوف عليها كذلك مع أختها بالنظر إلى الترتيب طريقا آخر للإعجاز.(٢)

وليس المراد هنا النظر فى معنى (المعنى اللغوى) على إطلاقه بل إلى (المعنى القرآنى) بهذا النعت التقييدى الجليل... المعنى القرآنى ضربان:

الأول: المعنى القصدى؛ وهذا هو عين مراد الله تعالى ، وهو معنى توفيقى ليس لنا معه إلا الاجتهاد فى فهمه، حين يبلغنا بسند صحيح عن سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم.

والآخر: المعنى الإدراكى وهو كل ما يدركه أهل العلم والتدبر من النص القرآنى وفقا لأصول الإدراك والتدبر وضوابطهما...أى: كل ما يدركه ويستنبطه أهل العلم من النص فى سياق السورة المقالى والمقامى وفقا لأصول وضوابط الفهم والاستنباط. ذلك هو المبتغى من التدبر.

ومجال التدبر متنوع؛ فقد يكون موضوعيا، بأن يجمع المتدبر الآيات الدالة على غرض معين كغرض الجهاد... فيجمع تلك الآيات ويتخذ له منهاج ترتيب وتصنيف وفقا لما قد يصطفى، ويبحث عن مناهج التصوير التى اتخذها القرآن الكريم فى تصوير ذلك المعنى إلى القلب فى أحسن صورة. وقد يكون مجالا

---

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور للبقاعى تحقيق د/ عبدالسميع محمد حسنين مكتبة المعارف بالرياض ط١/ ص١٥٢،١٥١

(٢) حركة المعنى فى سورة الفجر ص١٣

أسلوبيا؛ كأن يتخذ أسلوب التشبيه فى القرآن كله أو فى سورة من سوره فيجمع الآيات التى بنيت على التشبيه لينظر فى الأغراض والمقاصد التى استخدم التشبيه لتصويرها.

وقد يكون مجالا سباقيا كأن يجعل مجال بحثه عن المعنى القرآنى هو سياق ترتيل سورة ما باعتبار أن وحدة التحدى هى السورة (كما هو مجال البحث هنا) وفى سياق التلاوة نرى أربع دوائر يحيط بعضها ببعض وفقا لاتساع كل دائرة، فكل دائرة منها هى أقل اتساعا تقوم فى رحم الدائرة الأوسع.

تلك الدوائر هى دائرة الآية، فالمعقد، فالسورة، فالقرآن الكريم، ويمكنك أن تقول هى خمس دوائر بجعلك الجملة دائرة تحيط بها دائرة الآية ، تحيط بها دائرة المعقد، تحيط بها دائرة السورة، تحيط بجميع الدوائر دائرة السياق القرآنى الكريم... والمعنى المجتبى من التدبر فى سياق السورة هو المعنى القرآنى المحقق لكثير من المعانى الإحسانية التى نحن فى مزيد الافتقار إليها تفقها وأدبا.[1]

وجمهور البلاغيين لم يفرق بين الحال والمقام، والحال أو المقام عندهم هو الأمر الداعى للمتكلم إلى أن يورد كلامه على طريقة ما، وقد ذكروا أن "ارتفاع شأن الكلام فى الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب، وانحطاطه بعدم مطابقته"[2]

(١) العزف على أنوار الذكر– معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآنى فى سياق السورة– د/ محمود توفيق ط/١٤٢٤هـ ص١٢ وما بعدها باختصار

(٢) أثر السياق فى اصطفاء الأساليب دراسة بلاغية – مكتبة وهبة ط٢– ١٠١٩ ص٢٧. وينظر شروح التلخيص – دار السرور بيروت– ج١/ ١٣٠، ١٣١.

لذا فمن الضرورى مراعاة السياق المقالى والسياق المقامى فى فقه البيان القرآنى لتلاؤمها واتساقها فى القرآن الكريم كله، كما نبه إلى ذلك الزركشى.[1]

إذن فى البحث لا بد من مراعاة السياق المقالى للآيات ورعاية المقتضى العام وهو السياق المقامى للسورة وتلاؤمها مع مع قبلها ومع ما بعدها. والمقام عند البلاغيين سبب والتراكيب بنظمها مسببة عن هذا المقام.

(١) البرهان فى علوم القرآن للإمام الزركشى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط٣- دار الفكر ١٩٨٠م. ج١/٢٥

المبحث الأول: نبذة عامة عن السورة وموضوعها وتناسبها مع ما قبلها وما بعدها وعلاقة مطلع السورة بمقصدها وختامها

سورة الانفطار من السور المكية، ترتيبها فى النزول الاثنتان والثمانون وهو نفس ترتيبها فى المصحف الشريف، إلا أن نزولها كان بعد النازعات وقبل الانشقاق، أما ترتيبها فى المصحف فهو بعد التكوير وقبل المطففين.

سورة الانفطار كأنها من تمام سورة التكوير لاتحاد القصد، فاتصالها بها واضح. (١) **ذكر البقاعى أن مقصودها التحذير من الانهماك فى الأعمال السيئة اغترارا بإحسان الرب ونسيانا ليوم الدين الذى يحاسب فيه على النقير القطمير، ولا تغنى فيه نفس عن نفس شيئا، واسمها الانفطار أدل ما فيها على ذلك.** (٢)

والمقصود منها إثبات الحساب على الأعمال، وما يتبع هذا من ثواب وعقاب، فيكون المقصود منها هو الغرض المقصود من سورة التكوير، وهذا وجه المناسبة بين السورتين. (٣)

ولما ختمت التكوير بأنه سبحانه لا يخرج عن مشيئته وأنه موجد الخلق ومدبرهم، وكان من الناس من يعتقد أن هذا العالم هكذا بهذا الوصف لا آخر له «أرحام تدفع وأرض تبلع ومن مات فات وصار إلى الرفات ولا عود بعد

(١) البرهان فى تناسب سور القرآن لابن الزبير الثقفى – تحقيق د/ سعد بن جمعة دار ابن الجوزى ط١/ ١٤٢٨ ص٢٠٣

(٢) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور للبقاعى دار الكتب العلمية– بيروت ط٣ ٢٠٠٦م المجلد الثامن/٣٤٧

(٣) النظم الفنى فى القرآن للشيخ عبدالمتعال الصعيدى – مكتبة الآداب– القاهرة. ص٢٤١

الفوات» افتتح الله سبحانه هذه بما يكون مقدمة لمقصود التي قبلها من أنه لا بد من نقضه لهذا العالم وإخرابه ليحاسب الناس فيجزي كلاً منهم من المحسن والمسيء بما عمل فقال: {إذا السماء} أي على شدة إحكامها واتساقها وانتظامها {انفطرت} أي انشقت شقوقاً أفهم سياق التهويل أنه صار لبابها أطراف كثيرة فزال ما كان لها من الكرية الجامعة للهواء الذي الناس فيه كالسمك في الماء، فكما أن الماء إذا انكشف عن الحيوانات البحرية هلكت، كذلك يكون الهواء مع الحيوانات البرية، فلا تكون حياة إلا ببعث جديد ونقل عن هذه الأسباب، ليكون الحساب بالثواب والعقاب. (١)

<u>وطرائق التعرف على المعنى يمكن إجمالها فيما يلى:</u>

١- حصر الألفاظ التى وقعت فى السورة ولم تقع فى سواها، وتأمل معناها، وغالبا ما تكون هذه الألفاظ هى المعالم الدالة على توزيع المعنى فى السورة.
٢- حصر الموضوعات التى وقعت فى السورة ولم تقع فى سواها واستكشاف علاقتها بالهدف والمقصد.
٣- النظر فيما وقع فى السورة من موضوعات مشتركة -إن وجد- ومناظرته بما يقاربه فى الذكر الحكيم كله.
٤- تأمل تراكيب المطلع، فإن المطلع يجمل المقصد الذى تتظاهر عليه تركيب السورة.

(١) نظم الدرر المجلد الثامن/ ٣٤٧

٥- تأمل كلام أهل العلم فى المناسبات من الآيات ومن السور وهو علم عزيز. (١)

ومراحل هذا الطريق للتعرف إلى فقه المعنى القرآنى يمكن إجماله فى:

١- فقه موضع السورة على مدرجة السياق القرآنى

٢- فقه وحدة سياق السورة ومقصودها الأعظم

٣- تقسيم السورة إلى معاقد

٤- التحليل البيانى للكلمات والجمل والآيات

فكل معنى فى كل سورة ولا سيما المعانى الكلية وثيق الانتساب إلى سورة (أم القرآن) على اختلاف درجات الظهور، ولكل سورة موقع على مدرجة سياق المعنى الكلى للقرآن الكريم وهى مدرجة متصاعدة، فإذا المعنى القرآنى فى حركتها متكامل، فكل سورة تتلو أخرى يكون فيها من المعانى الكلية والجزئية ما هو مؤكد ما سبق تأسيسه فى السابق وتأسيس ما هو مكمل ما سبقه حتى يصل المعنى القرآنى إلى ذروته فى سورة الإخلاص والمعوذتين.

وحين تكون السورة قريبة من سورة الفاتحة فإنه من اليسير رد المعانى الكلية والجزئية بما ترتبط به من معانى السورة السابقة عليها بل ومن غير العسير رد المعانى الكلية إلى ما ترتبط به من سورة الفاتحة.

أما السورة التى تقارب نهاية السياق الترتيلى من القرآن الكريم، فإن رد معاقد المعانى الكلية إلى ما سبقها كاف فى تبيان موقع السورة على مدرجة المعنى الكلى للقرآن الكريم، وهذه المرحلة وإن كان فيها من الصعوبة غير قليل إلا أن لها من الأثر والمنزلة فى فقه معنى السورة ومنهج بنائها هذا

(١) ينظر حركة المعنى فى سورة الفجر ص١٤،١٥ باختصار، وعلاقة المطالع بالمقاصد فى القرآن الكريم دراسة بلاغية د/ إبراهيم صلاح الهدهد – مكتبة وهبة ٢٠١٩/٢/ص٦٥١ وما بعدها

علاوة على أن فيها بيانا لتناسب سور القرآن الكريم، وذلك لتناسب ضرب من إحكام القرآن الكريم لا يقل البتة عن تناسب آيات السورة الواحدة. (١)

وهو من أبواب البلاغة العالية التى تروع من غير أن تكون داخلة تحت مصطلح من مصطلحات متون علم البلاغة، لأنها علاقات معان تتفق وتختلف، وتتضارب، وتتباعد، ولها فى تقاربها وتباعدها درجات، كل ذلك بتدبير دقيق، واعتبارات وسياقات ومقامات منها ظاهر وخفى. (٢)

استبصار المقصود الأعظم واستكشاف المغزى فى كل سورة يحتاج إلى مدارسة عميقة ولكن هناك بعض الروافد التى يمكن من خلالها أن يستقى فقه المقصود الكلى من السورة ويمكن إجمالها فى: اسم السورة، فاتحة السورة وخاتمتها، تدبر الفروق البيانية بين المعانى الكلية المصرفة فى السورة ثم تكرار أو تصريف نمط تركيبى فى سياق السورة. (٣)

أما اسم السورة فهو الانفطار أو إذا السماء انفطرت، فعن ابن عمر رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ " إذا الشمس كورت" و "إذا السماء انفطرت" و"إذا السماء انشقت" (٤)

أما عن حصر الألفاظ التى وقعت فى السورة ولم تقع فى سواها، فإن الانفطار انفردت بذكر المفردات (انفطرت – انتثرت – فجرت – بعثرت – غرك – عدلك

---

(١) السابق نفسه ص٣٠،٣١ باختصار

(٢) من أسرار التعبير القرآنى دراسة تحليلية لسورة الأحزاب د/ محمد محمد أبو موسى – مكتبة وهبة ط٢ ١٩٩٦م ص٢٤،٢٥

(٣) ينظر العزف على أنوار الذكر ص٧٤ وص١٠٠

(٤) الجامع الصحيح لسنن الترمذى لأبى عيسى محمد بن سورة، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر – دار الحديث بالقاهرة ج٥/٤٠٣

– ركبك) وهى مفردات تتحدث عن يوم الدين وعتاب المولى عز وجل للإنسان فى هذا اليوم الجليل.

وموضوعات السورة انحصرت بين علامات هذا اليوم الجليل وما فيها من انقلاب كونى تتغير معه ملامح الكون المنظور لدى الإنسان.

ثم لمسة عتاب مبطنة بالوعيد والتحذير لهذا الإنسان الذى اغتر ولم يعرف حق ربه الكريم، ثم إقرار بعلة هذا الاغترار وهذا الجحود والنكران، ثم ختام السورة يتصور ضخامة هذا اليوم وتجرد كل نفس فيه من كل قوة إذ الأمر يومئذ كله لله.

والسورة تعد امتدادا لما قبلها فهى تعالج نفس موضوعها ولكن بطريقة تختلف عن سابقتها، وتؤسس لمعنى سيأتى فى لاحقتها. أما كونها تعد امتدادا لسابقتها وهى سورة التكوير فإنه سبحانه لما ختم التكوير "بأنه لا يخرج عن مشيئته أحد وأنه موجد الخلق ومدبرهم... افتتح الله سبحانه هذه بما يكون مقدمة لمقصود التى قبلها، من أنه لابد من نقضه لهذا العالم وإخرابه ليحاسب الناس فيجزى كلا منهم المحسن والمسئ بما عمل فقال:"إذا السماء" أى: على شدة إحكامها واتساقها وانتظامها انفطرت. (١)

فتتحدث السورة فى مقطعها الأول عن انفطار السماء وانتثار الكواكب وتفجير البحار وبعثرة القبور كحالات مصاحبة لعلم كل نفس بما قدمت وأخرت فى ذلك اليوم الأخير، وفى المقطع الثانى ٦-٨ تبدأ لمسة العتاب المبطنة بالوعيد لهذا الإنسان الذي يتلقى من ربه فيوض النعمة في ذاته وخلقته ، ولكنه لا يعرف للنعمة حقها ، ولا يعرف لربه قدره ، ولا يشكر على الفضل والنعمة والكرامة :

{ يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك؟ في أي صورة ما شاء ركبك } . .

(١) نظم الدرر المجلد الثامن ص٣٤٧

وفي المقطع الثالث يقرر علة هذا الجحود والإنكار . فهي التكذيب بالدين أي بالحساب وعن هذا التكذيب ينشأ كل سوء وكل جحود . ومن ثم يؤكد هذا الحساب توكيداً ، ويؤكد عاقبته وجزاءه المحتوم : { كلا . بل تكذبون بالدين . وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين . يعلمون ما تفعلون . إن الأبرار لفي نعيم . وإن الفجار لفي جحيم . يصلونها يوم الدين . وما هم عنها بغائبين } . .

فأما المقطع الأخير فيصور ضخامة يوم الحساب وهوله ، وتجرد النفوس من كل حول فيه ، وتفرد الله سبحانه بأمره الجليل : { وما أدراك ما يوم الدين؟ ثم ما أدراك ما يوم الدين؟ يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً ، والأمر يومئذ لله }..

فالسورة فى مجموعها حلقة فى سلسلة الإقاعات والطرقات التى يتولاها هذا الجزء كله بشتى الطرق والأساليب. (١)

وبتأمل تراكيب المطلع يظهر لنا المقصد من السورة، فقد بدأها بذكر علامات هذا اليوم العظيم وختمها بأن الأمر فى هذا اليوم لله وحده وهذان هما الطرفان وقد تحركت المعانى بينهما فبعد المطلع المؤذن بالمقصود وهو إثبات يوم الحساب انتقل إلى العتاب المبطن بالتحذير ممن غره كرم ربه وحلمه وما غره إلا جهله فكذب بالدين، ولكن ليعلم بأن عليه من الملائكة كراما كاتبين يدونون ما يفعل وسيلاقى جزاء عمله، فكما سيعلم ما قدم وما أخر فليعلم إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم، وذلك فى هذا اليوم الذى تقدمت بعض من علاماته وهو يوم ما أدراك به، يوم لا تملك نفس لنفس أى شئ فالحول والقوة والأمور كلها يومئذ لله رب العالمين، والتناسب بين السورة وبين فاتحة الكتاب يظهر فى المعنى الكلى وهو إثبات يوم الدين بما تقدمه من علامات

(١) فى ظلال القرآن لسيد قطب- دار الشروق ج٦/ ٣٨٤٦،٣٨٤٥

وما سيكون فيه من جزاءات بمرجعه إلى "مالك يوم الدين" إذ ختمت الانفطار بما يدل على هذا المعنى "يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله".

وكل معنى قرآنى فى أى سورة من سور القرآن، بل فى أى آية من آياته قائم من أمرين رئيسين لا يفترقان أبدا. ولا تجد معنى قرآنيا لأى آية إلا وهذان قائمان فيه أو قل هو قائم منهما؛ هذان الأمران:

جلال الألوهية وجمال الربوبية؛ فأما الأول فإنه يقيم المتلقى فى مقام العبودية الراهبة المخبتة القانتة، والآخر يقيم العبد فى مقام الرجاء واليقين بواسع مغفرته ورحمته. (١)

وبالتأمل فى سورة الانفطار يظهر جليا فى مقطعها الأول براعة الاستهلال فيها ما تنطق بجلال الألوهية حيث الخالق الأعظم وقد غير نظام الكون المعهود وفتت ما كان متماسكا محكما من خلقه فانفطرت السماء وكانت لا ترى فيها من تفاوت، وتناثرت الكواكب وفجرت البحار، وبعثرت القبور؛ فكل هذه العلامات تدل على جلال ألوهيته ثم يأتى جمال الربوبية فى لمسة العتاب فى قوله" يأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم" لم يقل بإلهك وإنما عبر بالرب ليدل هنا على أن جمال الربوبية الذى يغمر الإنسان بكل ما يصلحه حرى بأن يجعل الإنسان شاكرا عابدا لله تعالى، لكن الإنسان يغره بالله شيطانه وطولإمهال الله له فى الدنيا حتى إذا كان يوم القيامة كانت هذه الهمسة الوعيدية التى تجاهلها فى الدنيا فأصبح فى الآخرة رهين ما قدم وما أخر. فإن كان من الأبرار فقد نجا وإن كان من الفجار فلن ينجيه من الله رب الأرباب شئ لأن الأمر كله لله.

---

(١) أسرار البلاغة القرآنية فى سورة تبت يدا أبى لهب د/ محمود توفيق – مكتبة وهبة ط١/٢٠١٧ ص ٣٦،٣٧ باختصار

وبالتأمل بين السورة ولاحقتها وهى سورة المطففين نجد أنه سبحانه لما قال فى الانفطار "وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين" وكان مقتضى ذلك الإشعار بوقوع الجزاء على جزئيات الأعمال، وأنه لا يفوت عملا وإن كان مثقال ذرة، أتبع الآية المتقدم ذكرها بجزاء من عمل عملا يتوهم فيه هون لمرتكب وهو من أكبر الجرائم وذلك التطفيف فى المكيال والميزان، والانحراف عن إقامة القسط فى ذلك فقال تعالى:"ويل للمطففين" ثم أردف بتهديدهم وتشديد الوعيد لهم فقال:"ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم" ثم التحمت الآى مناسبة لما افتتحت به السورة إلى ختامها، ولما ذكر فى الانفطار التعريف بالحفظة وإحصائهم على العباد فى كتبهم وعاد الكلام إلى ذكر ما يكتب على البر والفاجر واستقرار ذلك إلى قوله تعالى " إن كتاب الأبرار لفى عليين" وقوله "إن كتاب الفجار لفى سجين" أتبع ذلك هنا بذكر التعريف بأخذ هذه الكتب فى القيامة عند العرض وأن أخذها بأيمان عنوان السعادة، وأخذها وراء الظهر عنوان الشقاء. (١)

هذا والقرآن من أوله إلى آخره صريح فى ترتيب الجزاء بالخير والشر، والأحكام الكونية على الأسباب فليحذر الإنسان مغالطة نفسه على هذه الأسباب فإن العبد يعرف أن المعصية والغفلة من الأسباب المضرة له فى دنياه وآخرته، وعلى العبد أن يستعمل الخوف فيخوف نفسه بغضب الله وعظيم عقابه. ويقول: إنه، مع أنه غافر الذنب وقابل التوب، شديد العقاب. وإنه، مع أنه كريم، خلد الكفار في النار أبد الآباد. مع أنه لم يضرّه كفرهم. بل سلط العذاب والمحن والأمراض والعلل والفقر والجوع على جملة من عباده في الدنيا. وهو قادر على إزالتها. فمن هذه سنته في عباده، وقد خوّفني عقابه،

(١) البرهان فى تناسب سور القرآن ص٢٠٤

فكيف لا أخافه؟ وكيف أغتر به؟ فالخوف والرجاء قائدان وسائقان يبعثان الناس على العمل. فما لا يبعث على العمل فهو تمنّ وغرور.

ورجاء كافة الخلق هو سبب فتورهم، وسبب إقبالهم على الدنيا، وسبب إعراضهم عن الله تعالى، وإهمالهم السعي للآخرة، فذلك غرور. وقد روي أن الغرور سيغلب على قلوب آخر هذه الأمة. وقد كان ذلك. فقد كان الناس في الإعصار الأول يواظبون على العبادات، ويؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون، يخافون على أنفسهم، وهم طول الليل والنهار في طاعة الله، يبالغون في التقوى والحذر من الشبهات، والشهوات، ويبكون على أنفسهم في الخلوات وأما الآن فترى الخلق آمنين مسرورين مطمئنين غير خائفين. مع إكبابهم على المعاصي وانهماكهم في الدنيا وإعراضهم عن الله تعالى. زاعمين أنهم واثقون بكرم الله تعالى وفضله، راجون لعفوه ومغفرته. كأنهم يزعمون أنهم عرفوا من فضله وكرمه ما لم يعرفه الأنبياء والصحابة والسلف الصالحون. فإن كان هذا الأمر يدرك بالمنى، وينال بالهوينا، فعلى ماذا كان بكاء أولئك وخوفهم وحزنهم؟

ثم قال: والقرآن من أوله إلى آخره تحذير وتخويف. ولا يتفكر فيه متفكر إلا ويطول حزنه ويعظم خوفه، إن كان مؤمنا بما فيه. وترى الناس يهذّونه هذّا. يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على خفضها ورفعها ونصبها، وكأنهم يقرءون شعرا من أشعار العرب. لا يهمهم الالتفات إلى معانيه، والعمل بما فيه. وهل في العالم غرور يزيد على هذا؟ (١)

(١) ينظر الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى الداء والواء لابن قيم الجوزية – دار الكتب العلمية– بيروت ص١٢،١٣ ، وينظر إحياء علوم الدين للغزالى– دار الغد العربى ط٣ ص ٤٠٨،٤٠٩ ، وينظر محاسن التأويل للقاسمى – ت محمد باسل عيون السود – دار الكتب العلمية ط١ ١٤١٨هـ ج٩ ٤٢٣ وما بعدها

المبحث الثانى

تحرير المعنى الأم في السورة وبيان حركته من خلال تدبر الفروق البيانية بين المعانى في السورة، وربط معاقد السورة ومعانيها الجزئية بالمعنى الأم

إن تدبر الفروق البيانية بين المعاني الكلية والجزئية في السورة هو السبيل لرصد حركة المعنى من مطلع السورة إلى ختامها.

وقد انقسمت السورة من حيث المعاني الجزئية إلى أربعة معاقد.

المعقد الأول: من آية ١- إلى آية ٥. وهو المطلع، وفيه الحديث عن علامات يوم الدين.

المعقد الثاني: من آية ٦- إلى آية ٨، وفيه لمسة عتاب على اغترار الإنسان بالرب الكريم مبطنة بالوعيد.

المعقد الثالث: من آية ٩ – إلى آية ١٦ وفيه علة جحود الإنسان وعاقبة هذ الجحود.

المعقد الرابع والأخير: من آية ١٧- إلى آخر السورة وفيه تصوير لهول هذا اليوم وضخامته.

فأما المطلع والمعقد الأول فيقول سبحانه:

" إِذَا السَّماءُ انْفَطَرَتْ ۞ وَإِذَا الْكَواكِبُ انْتَثَرَتْ ۞ وَإِذَا الْبِحارُ فُجِّرَتْ ۞ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۞ عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۞"

جاء في المبحث الأول أن مقصود السورة يدور حول التحذير من الانهماك في الأعمال السيئة؛ اغترارا بإحسان الرب وكرمه، ونسيانا ليوم الدين، وأن أغراض الصورة ومعانيها الجزئية اشتملت على: إثبات البعث وذكر أهوال

تتقدمه وإيقاظ المشركين للنظر في الأمور التي صرفتهم عن الاعتراف بتوحيد الله تعالى، وعن النظر في دلائل وقوع البعث والجزاء، والإعلام بأن الأعمال محصاة، وبيان جزاء الأعمال خيرها وشرها، وإنذار الناس من أنه لن ينجيهم شيء من عذاب الله جزاءً لهم على سيء أعمالهم(١).

والسورة تتحدث عن الانقلاب الكوني الذي تحدثت عنه سورة التكوير، ولكنها تتخذ لها شخصية أخرى، وسمتا خاصا بها، وتتجه إلى مجالات خاصة بها، تطوّف بالقلب البشري فيها، ففيها لمسات وإيقاعات من لون جديد، هادئ وعميق، لمسات كأنها عتاب وإن كان في طياته تهديد ووعيد، ومن ثم فإنها تختصر في مشاهد الانقلاب ، فلا تكون هي طابع السورة الغالب كما هو الشأن في سورة التكوير؛ لأن جو العتاب أهدأ ، وإيقاع العتاب أبطأ . . وكذلك إيقاع السورة الموسيقي . فهو يحمل هذا الطابع . فيتم التناسق في شخصية السورة والتوافق! (٢)

ومن سنة العرب في بيانها أن تجعل في الصدر دلالة على المراد وإنباء بالمقصود، كيما يكون السامع على بصيرة بما هو متلق له..... وهم في بيانهم من قبل نزول القرآن الكريم يتخذون من صدور قصائدهم هوادي إلى مضامنيها، وجاء الذكر الحكيم على ما كان من سننهم في الإنباء، بمطالع البيان على مقاصدهم، فكان مطلع كل سورة مضمنا معالم هادية إلى مقاصدها(٣).

---

(١) ينظر نظم الدرر – المجلد الثامن صـ٣٤٧، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور – دار سحنون– ج٣/ ١٦٩، ١٧٠. بتصرف

(٢) ينظر في ظلال القرآن ج٦/ ٣٨٤٥.

(٣) العزف على أنوار الذكر ص ٧٨.

والسورة – محل البحث – من السور التي استفتحت بالشرط، والناظر في فواتح السور الفرقانية جملها ومفرداتها يرى من البلاغة والتفنن في الفصاحة ما لا تقدر العبارة على حصر معناه(١).

ومطلع السورة هنا له قيمة بيانية علاوة على ما له من بيان المقصد، فالسورة مقصودها الأعظم إثبات يوم الدين والتحذير من الاغترار بإمهال الله عز وجل.

وافتتاح السورة بهذا الأسلوب الشرطي لما يمتاز به الشرط من ربط بين أجزاء الكلام، ربطا ملاحظا فيه ترتب المسبب على السبب، فإذا ذكرت أداة الشرط وأردفت بفعل الشرط تشوقت النفس إلى ذكر ما سيكون، .... فإذا ذكر الجواب بعد هذه الإثارة وهذا التشويق تمكن أيما تمكن، والذي يزيد من هذه القيمة البيانية لأسلوب الشرط في القرآن الكريم أمران:

الأول: أن القرآن الكريم في غالب الفواتح من هذا النوع لا يكفي بفعل شرط واحد، بل يقرن به أشباها ونظائر، يطول تأمل السامع فيها، وتضاعف من تشوقه إلى الجواب، كلما انتقل من جزء إلى جزء، فيأتيه الجواب بعد تلهف وطول ترقب.

الثاني: أن أجزاء الأسلوب الشرطي في القرآن الكريم ليست من جنس ما يستعمله الناس من أمور عادية، بل فيه دقة نظم وجمال تركيب، مع الغرابة والجزالة.

كما أن مطالع السور المفتتحة بالشرط تتحدث عن أمور مستقبلة في الغالب استقبالا حقيقيا –كما هو في السورة محل البحث– من حديث عن مقدمات

(١) ينظر تحرير التحبير لابن أبي الاصبع المصري– ت: د/ حفني شرف– المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. ص ١٧٢.

القيامة، وأهوال الحشر، فكانت الأداة المفضلة هي (إذا) المؤذنة بتحقق شرطها وجوابها[1].

ولا ريب فقد ابتدأت بما يمهد للمقصود الأعظم من السورة، وهو إثبات يوم الدين، بذكر بعض علاماته، وليست كأي علامات، بل هي علامات تدعو إلى الخوف من الله، ومما سيكون في هذا اليوم العصيب؛ لذا كان هذا الابتداء مؤذنا بالشق الآخر من المقصود من السورة، وهو التحذير من الاغترار بإمهال الله لمن عصاه.

وتأمل معي حركة المعنى التي بدأ ظهورها من مطلع السورة في الشرط المعطوف على فعله، ليمد في تأخير الجواب، ليزيد من تلهف المخاطب وطول تأمله.

ومطلع السورة كذلك انفرد بألفاظ لم ترد في القرآن الكريم كله إلا هنا.

هذه الألفاظ (انفطرت- انتثرت- فجرت- بعثرت) كلها مفردات لم تأت في القرآن إلا هنا، وهي تمسك بالمعنى كسلك ينتظم فيه اللؤلؤ متراص الحبات، فانفطار السماء، وانتثار الكواكب وكأنها حبات لؤلؤ انفرط عقدها، وتفجير البحار، وبعثرة القبور، ما يؤذن بهول هذا اليوم وينبئ عن التهديد القادم، والوعيد الشديد.

والانتثار : مطاوع النثر ضد الجمع وضد الضم ، فالنثر هو رمي أشياء على الأرض بتفرق .

وأما التفرق في الهواء فإطلاق النثر عليه مجاز كما في قوله تعالى : (فجعلناه هباء منثوراً) (الفرقان : ٢٣). فانتثار الكواكب مستعار لتفرق هيئات اجتماعها المعروفة في مواقعها ، أو مستعار لخروجها من دوائر أفلاكها

(١) ينظر حسن الابتداء في سور القرآن الكريم دراسة تطبيقية. د/ عبد المجيد عبد المجيد هنداوي. د.ط سنة ١٩٩٩م. ص ١١٨، ١١٩ بتصرف واختصار.

وسموتها فتبدو مضطربة في الفضاء بعد أن كانت تلوح كأنها قارّة ، فانتثارها تبددها وتفرق مجتمعها ، وذلك من آثار اختلال قوة الجاذبية التي أقيم عليها نظام العالم الشمسي(١).

وقد اختلف المفسرون في مدلول (فجرت)، يقول الزمخشري: " فُجِّرَتْ فتح بعضها إلى بعض، فاختلط العذب بالمالح، وزال البرزخ الذي بينهما، وصارت البحار بحرا واحدا. وروى أنّ الأرض تنشف الماء بعد امتلاء البحار، فتصير مستوية، وهو معنى التسجير عند الحسن، وقرئ: فجرت، بالتخفيف. وقرأ مجاهد: فجرت على البناء للفاعل والتخفيف، بمعنى: بغت لزوال البرزخ نظرا إلى قوله تعالى لا يَبْغِيانِ لأنّ البغي والفجور أخوان(٢).

والافتتاح بالجملة الشرطية مشوق لما يراد بعدها من متعلقها، علما بأن "الجمل المتعاطفة المضاف إليها هنا أقل من اللاتي في سورة التكوير لأن المقام لم يقتض تطويل الإطناب كما اقتضاه المقام في سورة التكوير، وإن كان في كلتيهما مقتض للإطناب، لكنه متفاوت؛ لأن سورة التكوير من أول السور نزولا، وأما سورة الانفطار فبينها وبين التكوير (في النزول) أربع وسبعون سورة، تكرر في بعضها إثبات البعث والجزاء والإنذار، وتقرر عند المخاطبين، فأغنى تطويل الإطناب والتهويل"(٣).

وواضح حسن التقسيم في مطلع السورة، حيث جعل أشراط الساعة في مطلع السورة أربعة، اثنان منها علويان، واثنان سفليان.

---

(١) التحرير والتنوير ج٣٠ ١٧١

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)- دار المعرفة – بيروت –ج٤/ ٢٢٧.

(٣) التحرير والتنوير ج٣٠/ ١٧٠.

أما الاثنان العلويان: الْأَوَّلُ: قَوْلُهُ: إِذَا السَّماءُ انْفَطَرَتْ أَيِ انْشَقَّتْ وَهُوَ كَقَوْلِهِ: وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّماءُ بِالْغَمامِ [الْفُرْقَانِ: ٢٥] ، إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ [الِانْشِقَاقِ: ١] ، فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّماءُ فَكانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهانِ [الرَّحْمَنِ: ٣٧] ، وَفُتِحَتِ السَّماءُ فَكانَتْ أَبْواباً [النبأ: ١٩] والسَّماءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ [الْمُزَّمِّلِ: ١٨] قَالَ الْخَلِيلُ: وَلَمْ يَأْتِ هَذَا عَلَى الْفِعْلِ، بَلْ هُوَ كَقَوْلِهِمْ: مُرْضِعٌ وَحَائِضٌ، وَلَوْ كَانَ عَلَى الْفِعْلِ لَكَانَ مُنْفَطِرَةً كَمَا قَالَ: إِذَا السَّماءُ انْفَطَرَتْ.

الثَّانِي وَهُوَ قَوْلُهُ: وَإِذَا الْكَواكِبُ انْتَثَرَتْ فَالْمَعْنَى ظَاهِرٌ لِأَنَّ عِنْدَ انْتِقَاضِ تَرْكِيبِ السَّمَاءِ لَا بُدَّ مِنَ انْتِثَارِ الْكَوَاكِبِ عَلَى الْأَرْضِ. .....

وَأَمَّا الِاثْنَانِ السُّفْلِيَّانِ:

فَأَحَدُهُمَا: قَوْلُهُ: وَإِذَا الْبِحارُ فُجِّرَتْ وفيه وجوه أحدهما: أَنَّهُ يَنْفُذُ بَعْضُ الْبَحَّارِ فِي الْبَعْضِ بِارْتِفَاعِ الْحَاجِزِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ بَرْزَخًا، وَحِينَئِذٍ يَصِيرُ الْكُلُّ بَحْرًا وَاحِدًا، وَإِنَّمَا يَرْتَفِعُ ذَلِكَ الْحَاجِزُ لِتَزَلْزُلِ الْأَرْضِ وَتَصَدُّعِهَا. وَثَانِيهَا: أَنَّ مِيَاهَ الْبِحَارِ الْآنَ رَاكِدَةٌ مُجْتَمِعَةٌ، فَإِذَا فُجِّرَتْ تَفَرَّقَتْ وَذَهَبَ مَاؤُهَا وَثَالِثُهَا: قَالَ الْحَسَنُ: فُجِّرَتْ أَيْ يَبَسَتْ.

وَأَمَّا الثَّانِي: فَقَوْلُهُ: وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ فَاعْلَمْ أَنْ بُعْثِرَ وَبُحْثِرَ بِمَعْنًى وَاحِدٍ، وَمُرَكَّبَانِ مِنَ الْبَعْثِ وَالْبَحْثِ مَعَ رَاءٍ مَضْمُومَةٍ إِلَيْهِمَا، وَالْمَعْنَى أُثِيرَتْ وَقُلِبَ أَسْفَلُهَا أَعْلَاهَا وَبَاطِنُهَا ظَاهِرُهَا، ثُمَّ هَاهُنَا وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْقُبُورَ تُبْعْثَرُ بِأَنْ يَخْرُجَ مَا فِيهَا مِنَ الْمَوْتَى أَحْيَاءً، كَمَا قَالَ تَعَالَى: وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقالَها [الزَّلْزَلَةِ: ٢] وَالثَّانِي: أَنَّهَا تُبْعْثَرُ لِإِخْرَاجِ مَا فِي بَطْنِهَا مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تُخْرِجَ الْأَرْضُ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا مِنْ ذَهَبِهَا وَفِضَّتِهَا، ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ خُرُوجُ الْمَوْتَى، وَالْأَوَّلُ أَقْرَبُ، لِأَنَّ دَلَالَةَ الْقُبُورِ عَلَى الْأَوَّلِ أَتَمُّ.

وفَائِدَةِ هَذَا التَّرْتِيبِ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ بَيَانُ تَخْرِيبِ الْعَالَمِ وَفَنَاءِ الدُّنْيَا، وَانْقِطَاعِ التَّكَالِيفِ، وَالسَّمَاءُ كَالسَّقْفِ، وَالْأَرْضُ كَالْبِنَاءِ، وَمَنْ أَرَادَ تَخْرِيبَ دَارٍ، فَإِنَّهُ يَبْدَأُ أَوَّلًا بِتَخْرِيبِ السَّقْفِ، وَذَلِكَ هُوَ قَوْلُهُ: إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ثُمَّ يَلْزَمُ مِنْ تَخْرِيبِ السَّمَاءِ انْتِثَارُ الْكَوَاكِبِ، وَذَلِكَ هُوَ قَوْلُهُ: وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى بَعْدَ تَخْرِيبِ السَّمَاءِ وَالْكَوَاكِبِ يُخَرِّبُ كُلَّ مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ وَهُوَ قَوْلُهُ: وَإِذَا الْبِحارُ فُجِّرَتْ ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى يُخَرِّبُ آخِرَ الْأَمْرِ الْأَرْضَ الَّتِي هِيَ الْبِنَاءُ، وَذَلِكَ هُوَ قَوْلُهُ: وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ فَإِنَّهُ إِشَارَةٌ إِلَى قَلْبِ الْأَرْضِ ظَهْرًا لِبَطْنٍ، وَبَطْنًا لِظَهْرٍ(١).

ويلحظ تشابه النظم الكريم بين قوله في التكوير "وإذا البحار سجرت وإذا النفوس زوجت" وقوله في سورة الانفطار "وإذا البحار فجرت وإذا القبور بعثرت"، واختصاص النظم في التكوير بقوله (سجرت) وفي الانفطار بـ(فجرت) أن قوله : "سجرت" معناه ملئت، من قولك سجرت التنور إذا ملأته بالحطب، وقرئ مخففاً ومثقلاً والمعنى واحد، والمراد اجتماع مياهها وأما قوله : "فجرت" فتح بعضها واختلط العذب بالمالح فصار بحراً واحداً بزوال البرزخ الحاجز بينهما، وكل من الإخبارين (يؤدي معنى غير المعنى الآخر ، فإن الامتلاء غير الانفجار ، ثم كل من الإخبارين) مناط بالآخر لما بينهما من الشبه ، ولهذا جرى كلام أكثر المفسرين على تفسير كل واحد من اللفظين بما يحرز المجموع من معنييهما ، وتفاصيل ذلك على ما ذكرته مما يقتضى التباين لا الترادف ، والإخبار بكل واحد منهما مقصود معتمد لكمال المراد.

ومعنى: سُجِّرت البحار: أوقدت فصارت نارا كما يسجَّر التنُّور، وقيل: المراد بها بحار في جهنم تملأ حميماً ليعذّب بها أهل النار، فكان ذكر هذا المعنى حيث

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي– دار إحياء التراث العربي– بيروت ط٣– د.ت. ج٣١/ ٧٦، ٧٧.

وقع التوعّد بتسعير الجحيم أشبهَ وأولى. وأماّ قوله: (وإذا البحارُ فُجّرت) ، فإنّ معناه: سُيّب ماؤها، فأسيح حتى فاض المكان، لأنّ قبلها خبرا عن الأشياء التي يحكم الله تعالى بمزايلتها أماكنها كقوله تعالى: (إذا السماء انفطرت)، ومعناه: انشقت، كما قال: (فإذا انشقّت السماء فكانت وردة كالدِّهان) ، وبعده (وإذا الكواكبُ انتثرتْ) ، وبعده: (وإذا البِحارُ فُجرتْ) ، فبإزاء انتثار الكواكب انفجار البحار، فكان الإخبار عنها بهذا المعنى أولى بهذا المكان لتقدم ما يشبهها من التغيير، ومجيء ما هو تزييل عن مكانه من بعثرة القبور.

لذا خصت سورة الإنفطار بلفظ الإنفجار ليناسب مطلع السورة وافتتاحها، ألا ترى في انفجار العذب إلى المالح والمالح إلى العذب، وبعضها إلى بعض انفطار ناسب انشقاق السماء وانفطارها. فانفطار السماء ، وانفجار البحار ، وبعثرة القبور ، وانتشار النجوم ، كل ذلك متناسب أوضح تناسب وأبينه . وحشر الوحوش وتزويج النفوس، وتسجير البحار ، هذا كله اجتماع وائتلاف يناسب بعضه بعضاً ، كما أن انفطار السماء ، وانتثار الكوكب ، وتفجر البحار، وبعثرة القبور ، يناسب بعض ذلك بعضاً ، فالتحام هذه الجمل في السورتين أبين التحام وأوضحه ملاءمة وتناسباً . فورد كل من ذلك على ما يجب ويناسب[1].

(١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل للإمام الحافظ العلامة أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي- دار الكتب العلمية .بيروت. ج٢/ ٥٠٣، ٥٠٤، وينظر درة التنزيل وغرة التأويل في بيان المتشابهات في كتاب الله العزيز للخطيب الإسكافي- دار الآفاق الجديدة – بيروت.ط٤- ١٩٨١م. ص ٥٢٠ ،٥٢١.

كما يلحظ كذلك المتشابه في قوله في التكوير "علمت نفس ما أحضرت" وقوله في الانفطار "علمت نفس ما قدمت وأخرت"، و المعنى في الآيتين واحد، إذ الذي تحضره كل نفس هو الذي قدمت من عملها وأخرت ، إلا أن كلا من الموضوعين في السورتين خص بما يناسبه .

للسائل أن يسأل فيقول: قال الله تعالى: لما كانت القيامة وغيّر الله ما به قوام الدنيا لما يريد من إبطالها، وتجديد أمر الآخرة، حينئذ علِمت نفس ما أحضرت، وقال في السورة الأخرى: (عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ) (٥)

فهل يصح مكانَ (ما أحضرت) (ما قدّمت وأخّرت) ؟ فيجاب في سورة التكوير بما أجيب به في سورة الانفطار، أم خصوص الفائدة توجب تخصيص اللفظة؟

والجواب أن يقال: إنّ الأول لما جاء بعد ذكر النار والجنة، وهو قوله: (وإذا الجحيمُ سُعِّرت وإذا الجنّةُ أُزْلفتْ علمت نفس ما أحضرت) ، أي عملت عملا تستحق به الجنة، أم عملاً تستحقّ به النار، وذلك إذا نوِّلت الكتابَ ورأت الثوابَ والعقاب.

وأما الثاني فإنه بعد قوله: (وإذا القبور بُعْثِرت) أي: قُلِّب ترابها، وجعل أسفلها أعلاها بإخراج موتاها، فلماّ كان آخرَ شرط انقطع إلى ذكر الجزاء

لفظا ذا نقيض، وهو البعثرة التي تجعل أسفل الشيء أعلاه، كأن أن يُجعل الجزاء ما يتضمن لفظا ذا نقيض أولى من غيره، وهو: (علمت نفس ما قدّمت وأخّرت) ، وقيل: معناه: ما أقامت من طاعة الله وما تركت، وقيل: معناه: علمت نفس جميع ما عملته مدّة عمرها في الدنيا ما عملته، وما فعلته في أول شبابها وما فعلته آخر أيامها. وقيل: معناه: ما قدّمت من عملها الذي انقطع بانقطاع حياتها، وما أخّرت من سنة سنّتها فعُمل بها بعده، وإذا كان كذلك فقد قرن إلى كل شيء شرط جوابه الذي هو أشبه بما قاربه، وأولى لما قارنه.

كما أنه لما انحصر في آية التكوير وفيما قبلها من أول قوله : (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) (التكوير:١) إلى آخر قوله : (وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ) (التكوير : ١٣) الأهوال، من لدن ابتداء نفخة الصعق، إلى انتهاء تلك المقامات بتسعير الجحيم ، وإزلاف الجنة ، وهو عبارة عن إدنائها لداخلها ، وجئ بتلك الإخبارات منسوقة بالواو المقتضية الجمع حتى كأن تلك المقامات قد عبر (عنها) بلفظ واحد وتحصلت حاضرة للتصور الذهني ، ناسب ذلك تقدير الأعمال المترتب عليها الجزاء حاضرة والعبارة عنها بما يحصل ذلك ، فقيل : (عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ) (التكوير : ١٤) ، وكأن قد قيل: إذا حضرت هذه الأهوال مدركة للعيان حضرت أعمالكم بالتذكير لها ومطالعتها مكتوبة محصورة في الصحف التى لا تغادر صغير ولا كبيرة إلا محصاة فيها ، يبين هذا قوله تعالى : (فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ۞ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ) (النازعات : ٣٤ – ٣٥) وقوله تعالى : (وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا) (الكهف ٤٩) .

أما الآية الثانية فإنه لما كان قوله : (عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ) (التكوير : ١٤) غير مفصح باستيفاء أعمال الخلائق جئ بهذه الآية بعدها مشيرة إلى الحصر بما أشير إليه من ضبط طرفي أعمال المكلفين فقيل : (عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ) (التكوير : ١٤) من متقدم عملها ومتأخرة ، واقتضى التناسب تقدم الإحضار حيث ذكر ، وتأخير ذكر التقديم والتأخير حيث ذكر ، واتصل كل بما يشاكله ويلائمه، ولا يمكن سواه ، إذ التعريف بالإحضار والحصر بذكر ما قدم وما أخر مقصود ، معتمد ، إما أن يذكر ذلك على الاستيفاء في كل من السورتين من غير تفصيل ، وذلك تكرار من غير داع ولا مسوغ له ، وأما أن يذكر مفصلاً على غير ما ورد وذلك غير مناسب ، فلم يبق إلا وروده على أتم الملائمة والمناسبة ، وهذا على رعي ترتيب القرآن على ما تقرر عليه، فعرفت الآيتان بإحصاء الأعمال المحضرة ما تقدم منها وما تأخر أي ما عمله المكلف في أول عمره وبدء تكليفه، وفي آخر عمره وختم عمله، كما أخبر تعالى من

قول المجرمين : (مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا) (الكهف : ٤٩) فقدم ذكر إحضارها أولا ليناسب به ما تقدم ، وآخر ذكر إحصائها ليعلم بالحصر والإستيفاء ، وجاء كل على ما يناسب، والله سبحانه أعلم بما أراد(١).

وبعثرة القبور . . إما أن تكون بسبب من هذه الأحداث السابقة . وإما أن تكون حادثاً بذاته يقع في ذلك اليوم الطويل ، الكثير المشاهد والأحداث . فتخرج منها الأجساد التي أعاد الله إنشاءها – كما أنشأها أول مرة – لتتلقى حسابها وجزاءها . .

يؤيد هذا ويتناسق معه قوله بعد عرض هذه المشاهد والأحداث : {علمت نفس ما قدمت وأخرت } . . أي ما فعلته أولاً وما فعلته أخيراً . أو ما فعلته في الدنيا ، وما تركته وراءها من آثار فعلها . أو ما استمتعت به في الدنيا وحدها ، وما ادخرته للآخرة بعدها .

على أية حال سيكون علم كل نفس بهذا مصاحباً لتلك الأهوال العظام . وواحداً منها مروّعاً لها كترويع هذه المشاهد والأحداث كلها!

والتعبير القرآني الفريد يقول : { علمت نفس } . . وهو يفيد من جهة المعنى : كل نفس . ولكنه أرشق وأوقع . . كما أن الأمر لا يقف عند حدود علمها بما قدمت وأخرت .

فلهذا العلم وقعه العنيف الذي يشبه عنف تلك المشاهد الكونية المتقلبة . والتعبير يلقي هذا الظل دون أن يذكره نصاً . فإذا هو أرشق كذلك وأوقع(٢)!

---

(١) ينظر ملاك التأويل. ج٢/ ٥٠٣، ٥٠٤. وينظر درة التنزيل وغرة التأويل ص ٥٢٠، ٥٢١.

(٢) الظلال ج٦/ ٣٨٤٧

المعقد الثاني: من آية ٦- إلى آية ٨، وفيه لمسة عتاب على اغترار الإنسان بالرب الكريم مبطنة بالوعيد.

وبعد هذا المطلع الموقظ المنبه للحواس والمشاعر والعقول والضمائر ، يلتفت إلى واقع الإنسان الحاضر ، فإذا هو غافل لاه سادر . . هنا يلمس قلبه لمسة فيها عتاب رضيّ ، وفيها وعيد خفي ، وفيها تذكير بنعمة الله الأولى عليه : نعمة خلقه في هذه الصورة السوية على حين يملك ربه أن يركبه في أي صورة تتجه إليها مشيئته . ولكنه اختار له هذه الصورة السوية المعتدلة الجميلة . . وهو لا يشكر ولا يقدر[١] :

﴿يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۞ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۞ فِي أَيِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ﴾

ولما كان ذلك (المطلع) خالعاً للقلوب، وكان الإنسان إذا اعتقد البعث قد يقول تهاوناً ببعض المعاصي: المرجع إلى كريم ولا يفعل بي إلا خيراً، أنتج قوله منادياً بأداة البعد لأن أكثر الخلق مع ذلك معرض، منكراً سبحانه وتعالى على من يقول هذا اغتراراً بخدع الشيطان إنكاراً يهد الأركان: {يا أيها الإنسان} أي البشر الآنس بنفسه الناسي لما يعنيه {ما غرك} أي أدخلك في الغرة، وهي أن ترى فعلك القبيح حسناً أو ترى أنه يعفى عنك لا محالة، وذلك بمعنى قراءة سعيد بن جبير والأعمش: أغرك – بهمزة الإنكار، وتزيد المشهورة معنى التعجب {بربك} أي المحسن إليك الذي أنساك إحسانه ما خلقت له من خلاص نفسك بعمل ما شرعه لك[٢].

---

(١) الظلال ج٦/ ٣٨٤٧

(٢) نظم الدرر المجلد ٨/ ٣٤٩، ٣٥٠.

و النداء استئناف ابتدائي لأن ما قبله بمنزلة المقدمة له لتهيئة السامع لتلقي هذه الموعظة لأن ما سبقه من التهويل والإنذار يهيّىء النفس لقبول الموعظة، إذ الموعظة تكون أشدّ تغلغلاً في القلب حينئذ لما يشعر به السامع من انكسار نفسه ورقّة قلبه فيزول عنه طغيان المكابرة والعناد فخطر في النفوس ترقب شيء بعد ذلك. والنداء للتنبيه تنبيهاً يشعر بالاهتمام بالكلام والاستدعاء لسماعه فليس النداء مستعملاً في حقيقته إذ ليس مراداً به طلب إقبال ولا هو موجّه لشخص معين أو جماعة معينة بل مثلُه يجعله المتكلم موجّهاً لكل من يسمعه بقصد أو بغير قصد(١).

يقول الرازي: أَمَّا قَوْلُهُ: يَا أَيُّهَا الْإِنْسانُ فَفِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ الْكَافِرُ، لِقَوْلِهِ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ: كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ [الإنفطار: ٩] وَقَالَ عَطَاءٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: نَزَلَتْ فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ وَمُقَاتِلٌ: نَزَلَتْ فِي ابْنِ الْأَسَدِ بْنِ كَلَدَةَ بْنِ أُسَيْدٍ وَذَلِكَ أَنَّهُ ضَرَبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يُعَاقِبْهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَأَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّهُ يَتَنَاوَلُ جَمِيعَ الْعُصَاةِ وَهُوَ الْأَقْرَبُ، لِأَنَّ خُصُوصَ السَّبَبِ لَا يَقْدَحُ فِي عُمُومِ اللَّفْظِ. أَمَّا قَوْلُهُ: مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ فَالْمُرَادُ الَّذِي خَدَعَكَ وَسَوَّلَ لَكَ الْبَاطِلَ حَتَّى تَرَكْتَ الْوَاجِبَاتِ وَأَتَيْتَ بِالْمُحَرَّمَاتِ، وَالْمَعْنَى مَا الَّذِي أَمَّنَكَ مِنْ عِقَابِهِ، يُقَالُ: غَرَّهُ بِفُلَانٍ إِذَا أَمَّنَهُ الْمَحْذُورَ مِنْ جِهَتِهِ مَعَ أنه غير مأمون، وهو كقوله: لا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ [لُقْمَانَ: ٣٣] هَذَا إِذَا حَمَلْنَا قوله: يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ عَلَى جَمِيعِ الْعُصَاةِ، وَأَمَّا إِذَا حَمَلْنَاهُ عَلَى الْكَافِرِ، فَالْمَعْنَى مَا الَّذِي دَعَاكَ إِلَى الْكُفْرِ وَالْجَحْدِ بِالرُّسُلِ، وَإِنْكَارِ الْحَشْرِ وَالنَّشْرِ(٢).

(١) التحرير والتنوير ج٣٠/ ١٧٣.
(٢) التفسير الكبير ج٣١/٧٩

إن هذا الخطاب : { يا أيها الإنسان } ينادي في الإنسان أكرم ما في كيانه، وهو «إنسانيته» التي بها تميز عن سائر الأحياء؛ وارتفع إلى أكرم مكان؛ وتجلى فيها إكرام الله له، وكرمه الفائض عليه .

ثم يعقبه ذلك العتاب الجميل الجليل : { ما غرك بربك الكريم؟ } يا أيها الإنسان الذي تكرم عليك ربك ، راعيك ومربيك ، بإنسانيتك الكريمة الواعية الرفيعة . . يا أيها الإنسان ما الذي غرك بربك ، فجعلك تقصر في حقه ، وتتهاون في أمره ، ويسوء أدبك في جانبه؟ وهو ربك الكريم ، الذي أغدق عليك من كرمه وفضله وبره؛ ومن هذا الإغداق إنسانيتك التي تميزك عن سائر خلقه ، والتي تميز بها وتعقل وتدرك ما ينبغي وما لا ينبغي في جانبه؟

ثم يفصل شيئاً من هذا الكرم الإلهي ، الذي أجمله في النداء الموحي العميق الدلالة . المشتمل على الكثير من الإشارات المضمرة في التعبير . يفصل شيئاً من هذا الكرم الإلهي المغدق على الإنسان المتمثل في إنسانيته التي ناداه بها في صدر الآية . فيشير في هذا التفصيل إلى خلقه وتسويته وتعديله؛ وهو القادر على أن يركبه في أي صورة وفق مشيئته. فاختياره هذه الصورة له منبثق من كرمه ومن فضله وحده ، ومن فيضه المغدق على هذا الإنسان الذي لا يشكر ولا يقدر . بل يغتر ويسدر[1]!

ولما كان التعبير بالرب مع دلالته على الإحسان يدل على الانتقام عند الإمعان في الإجرام لأن ذلك شأن المربي، فكان ذلك مانعاً من الاغترار لمن تأمل.

ولما ذكر هذين الوصفين الدالين على الكمالين، بالجلال، دل عليهما تقريراً لهما بإفاضة الجود في التربية بوصف الجمال بالإكرام لئلا يعتقد الإنسان بما له من الطغيان أنه حر مالك لنفسه يفعل ما يشاء فقال: {الذي خلقك} أي

(١) الظلا ج٦/ ٣٨٤٧

أوجدك من العدم مهيئاً لتقدير الأعضاء {فسوّاك} عقب تلك الأطوار بتصوير الأعضاء والمنافع بالفعل {فعدلك} أي: جعل كل شيء من ذلك سليماً مودعاً فيه قوة المنافع التي خلقه الله لها، وعدل المزاج حتى قبل الصورة، والتعديل جعل البنية متناسبة الخلقة، وكذا العدل في قراءة الكوفيين بالتخفيف أي فأمالك عن تشويه الخلقة وتقبيح الصورة، وجعلك معتدلاً في صورتك، وكل هذا يقتضي غاية الشكر والخوف منه إن عصى، لأنه كما قدر على التسوية يقدر على التشويه وغيره من العذاب[1].

{ يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم} خطاب يهز كل ذرة في كيان الإنسان حين تستيقظ إنسانيته ، ويبلغ من القلب شغافه وأعماقه، وربه الكريم يعاتبه هذا العتاب الجليل ، ويذكره هذا الجميل ، بينما هو سادر في التقصير، سيئ الأدب في حق مولاه الذي خلقه فسواه فعدله . .

إنه عتاب مذيب . . حين يتصور « الإنسان » حقيقة مصدره ، وحقيقة مخبره، وحقيقة الموقف الذي يقفه بين يدي ربه ، وهو يناديه النداء ، ثم يعاتبه هذا العتاب[2].

والاستفهام مجاز في الإنكار والتعجيب من الإشراك بالله ، أي لا موجب للشرك وإنكار البعث إلا أن يكون ذلك غروراً غرّه عنا كناية عن كون الشرك لا يخطر ببال العاقل إلا أن يغره به غار ، فيحتمل أن يكون الغرور موجوداً ويحتمل أن لا يكون غروراً .

وإيثار تعريف الله بوصف (ربك) دون ذكر اسم الجلالة لما في معنى الرب من الملك والإنشاء والرفق ، ففيه تذكير للإنسان بموجبات استحقاق الرب طاعة مربوبه فهو تعريض بالتوبيخ .

---

(١) نظم الدرر المجلد ٨/ ٣٤٩، ٣٥٠.

(٢) الظلال ج٦/ ٣٨٥٠

وكذلك إجراء وصف الكريم دون غيره من صفات الله للتذكير بنعمته على الناس ولطفه بهم فإن الكريم حقيق بالشكر والطاعة، والوصف الثالث الذي تضمنته الصلة : (فعَدَّلك في أيّ صورة) جامع لكثير مما يؤذن به الوصفان الأولان فإن الخلق والتسوية والتعديل وتحسين الصورة من الرفق بالمخلوق ، وهي نعم عليه وجميع ذلك تعريض بالتوبيخ على كفران نعمته بعبادة غيره[١].

وقوله : (في أي صورة) أي للاستفهام عن تمييز شيء عن مشاركيه في حاله، والاستفهام بها كثيراً ما يراد به الكناية عن التعجب أو التعجيب من شأن ما أضيفت إليه، أيّ (لأن الشيء إذا بلغ من الكمال والعظمة مبلغاً قوياً يُتساءل عنه ويُستفهم عن شأنه ، ومن هنا نشأ معنى دلالة (أيّ) على الكمال، وإنما تحقيقه أنه معنى كنائي كثر استعماله في كلامهم ، وإنما هي الاستفهامية)، وأيّ (هذه تقع في المعنى وصفاً لنكرة إمّا نعتاً نحو : هو رجل أيُّ رجل ، وإما مضافة إلى نكرة كما في هذه الآية ، فيجوز أن يتعلق قوله : (في أي صورة) بأفعال (خلقَك ، فسوَّاك ، فعدَّلك) فيكون الوقف على (في أي صورة).

ويجوز أن يتعلق بقوله (ركبك) فيكون الوقف على قوله (فعدلك) ويكون قوله (ما شاء) معترضاً بين (في أي صورة) وبين (ركَبَّك).

والمعنى على الوجهين : في صورة أيّ صورة ، أي في صورة كاملة بديعة .

وجملة (ما شاء ركبك) بيان لجملة (عدَّلك) باعتبار كون جملة (عدّلك) مفرعة عن جملة (فسوَّاك) المفرغة عن جملة (خلقك) فبيانها بيان لهما[٢].

والتحذير من الإنهماك في الأعمال السيئة اغتراراً بإحسان الرب وكرمه، ونسياناً ليوم الدين، الذي يحاسب فيه على النقير والقطمير، ولا تغني فيه

(١) التحرير والتنوير ج٣٠ / ١٧٤ ، ١٧٥.

(٢) التحرير والتنوير ج٣٠ / ١٧٦، ١٧٧

نفس عن نفس شيئاً[1]. هو صلب موضوع السورة، التي بدأت بعلامات يوم الدين، وانتهت بأن الأمر كله لله يومئذ. فالمعنى بدأ مع ذكر علامات يوم الحساب، وتصاعد المعنى مع هذا العتاب الموجع من الرب الكريم، للإنسان الذي غره بربه الغرور، غره كرم ربه الذي خلقه وسواه وعدله وصوره في أحسن صورة وأبهاها.

ويتصاعد المعنى ليكشف عن علة هذا الغرور، وو التكذيب بيوم الدين فيقول تعالى: "كلا بل تكذبون بالدين...."

(١) مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ ويُسَمَّى: "المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى" ل إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)- مكتبة المعارف – الرياض – الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧م . ج٣/ ١٦٥.

المعقد الثالث: من آية ٩ – إلى آية ١٦ وفيه علة جحود الإنسان وعاقبة هذ الجحود.

يقول تعالى: كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۞ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۞ كِراماً كاتِبِينَ ۞ يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ ۞ إِنَّ الْأَبْرارَ لَفِي نَعِيمٍ ۞ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۞ يَصْلَوْنَها يَوْمَ الدِّينِ ۞ وَما هُمْ عَنْها بِغائِبِينَ ۞

لما أوضح سبحانه غاية الإيضاح الدليل على قدرته على الإعادة بالابتداء، وبين تعالى أنه ما أوجب للإنسان، الخسار بنسيان هذا الدليل الدال على تلك الدار إلا الاغترار، وكان الاغترار يطلق على أدنى المعنى، بين أنه ارتقى به الذروة فقال: {كلا} أي: ما أوقعكم أيها الناس في الإعراض عمن يجب الإقبال عليه ويقبح غاية القباحة الإعراض بوجه عنه مطلق الغرور {بل} أعظمه وهو أنكم {تكذبون}، أي: على سبيل التجديد بتحدد إقامة الأدلة القاطعة وقيام البراهين الساطعة {بالدين} أي الجزاء الذي وظفه الله في يوم البعث، فارجعوا عن الغرور مطلقاً خاصاً وعاماً، وارتدعوا غاية الارتداع {وإنّ} أي: والحال أن {عليكم} أي ممن أقمناهم من جندنا من الملائكة {لحافظين} لهم على أعمالكم غاية العلو، فهم بحيث لا يخفى عليهم منها جليل ولا حقير.
ولما أثبت لهم الحفظ، نزههم عن الزيادة والنقص فقال: {كراماً} أي فهم في غاية ما يكونون من طهارة الأخلاق والعفة والأمانة.... {كاتبين} أي: هم راسخون في وصف الكتابة يكتبونها في الصحف كما يكتب الشهود بينكم العهود ليقع الجزاء على غاية التحرير.
ولما أفهم الاستعلاء والتعبير بالوصف إحاطة الاطلاع على ما يبرز من الأعمال، صرح به فقال: {يعلمون} أي: على التجدد والاستمرار {ما تفعلون}

أي: تجددون فعله من خير وشر بالعزم الثابت والداعية الصادقة سواء كان مبنياً على علم أو لا، فكيف يكون مع هذا تكذيب بالجزاء على النقير والقطمير، هل يكون إحصاء مثاقيل الذر من أعمالكم عبثاً، وهل علمتم بملك يكون له رعية يتركهم هملاً، فلا يحاسبهم على ما في أيديهم وما عملوه، ولأجل تكذيبهم بالدين أكد المعنى المستلزم له، وهو أمر الحفظة غاية التأكيد، والتعبير بالمستقبل يدل على أنهم يعلمون كل ما انقدح في القلب وخطر في الخاطر قبل أن يفعل(١).

و(كَلاَّ) ردعٌ عن الاغترارِ بكرمِ الله تعالَى وجعلِه ذريعةً إلى الكفرِ والمعاصِي مع كونِه موجباً للشكرِ والطاعةِ وقولُه تعالى، "بَلْ تُكَذّبُونَ" بالدين إضرابٌ عن جملة مقدر ينساقُ إليها الكلامُ كأَّنه قيلَ بعد الردعِ بطريق الاعتراضِ وأنتم لا ترتدعونَ عن ذلكَ بل تجترئونَ على أعظمِ من ذلكَ حيثُ تكذبونَ بالجزاءِ والبعثِ رأساً، أو بدينِ الإسلامِ الذي هُما من جملةِ أحكامِه فلا تصدقونَ سؤالاً ولا جواباً ولا ثواباً ولا عقاب، وقيلَ(٢): كأنَّه قيل إنَّكم لا تستقيمونَ على ما توجيه نِعَمِي عليكُم وإرشادِي لكُم بل تكذبونَ، فكلا كلمة ردع وزجر عما هم فيه . وبل كلمة إضراب عما مضى من الحديث . ودخول في لون من القول جديد . لون البيان والتقرير والتوكيد . وهو غير العتاب والتذكير والتصوير .

{ كلا . بل تكذبون بالدين } . . تكذبون بالحساب والمؤاخذة والجزاء . وهذه هي علة الغرور، وعلة التقصير . فما يكذب القلب بالحساب والجزاء ثم يستقيم على هدى ولا خير ولا طاعة. وقد ترتفع القلوب وتشف ، فتطيع ربها وتعبده حباً فيه ، لا خوفاً من عقابه ، ولا طمعاً في ثوابه . ولكنها تؤمن بيوم الدين

(١) نظم الدرر المجلد ٨ ص ٣٥٠، ٣٥١.

(٢) ينظر تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود. دار الكتب العلمية- بيروت- ط١- ١٩٩٩م . ج٦ / ٣٩٠، ٣٩١

وتخشاه ، وتتطلع إليه ، لتلقى ربها الذي تحبه وتشتاق لقاءه وتتطلع إليه . فأما حين يكذب الإنسان تكذيباً بهذا اليوم ، فلن يشتمل على أدب ولا طاعة ولا نور . ولن يحيا فيه قلب ، ولن يستيقظ فيه ضمير. تكذبون بيوم الدين . . وأنتم صائرون إليه، وكل ما عملتم محسوب عليكم فيه . لا يضيع منه شيء ، ولا ينسى منه شيء : { وإن عليكم لحافظين ، كراماً كاتبين ، يعلمون ما تفعلون }.... ولما كان جو السورة جو كرم وكرامة ، فإنه يذكر من صفة الحافظين كونهم . . { كراماً } . . ليستجيش في القلوب إحساس الخجل والتجمل بحضرة هؤلاء الكرام . فإن الإنسان ليحتشم ويستحيي وهو بمحضر الكرام من الناس أن يسف أو يتبذل في لفظ أو حركة أو تصرف . . فكيف به حين يشعر ويتصور أنه في كل لحظاته وفي كل حالاته في حضرة حفظة من الملائكة {كرام} لا يليق أن يطلعوا منه إلا على كل كريم من الخصال والفعال؟! إن القرآن ليستجيش في القلب أرفع المشاعر بإقرار هذه الحقيقة فيه بهذا التصور الواقعي الحي القريب إلى الإدراك المألوف(١).

{إِنَّ الأبرارَ} أي: المؤمنين {لَفِي نعيم} عظيم، وهو نعيم الجنان {وإِنَّ الفُجَّار} أي: الكفار {لَفِي جحيم} كذلك، وفي تنكيرهما من التفخيم والتهويل ما لا يخفى، {يَصْلَونها يومَ الدِّين} يُقاسون حرها يوم الجزاء، وهو استئناف بياني منبىء عن سؤال نشأ عن تهويلها، كأنه قيل: ما حالهم فيها؟ فقال: يحترقون فيها يوم الدين، الذي كانوا يُكذِّبون به، {وما هم عنها بغائبين} طرفة عين بعد دخولها، وقيل: معناه: وما كانوا عنها غائبين قبل ذلك، بل كانوا يجدون

(١) الظلال ج٦/ ٣٨٥١.

سمومها في قبورهم[١]. ولا يخفى ما بينهما من الوصل للتوسط بين الكمالين، والمقابلة بين الأبرار ونعيم، والفجار وجحيم.

وفصلت هذه الجملة "إن الأبرار لفي نعيم" عن التي قبلها لأنها استئناف بياني جوابٌ عن سؤال يخطر في نفس السامع يثيره قوله : (بل تكذبون بالدين وإن عليكم لحافظين) لتشوف النفس إلى معرفة هذا الجزاء ما هو، وإلى معرفة غاية إقامة الملائكة لإحصاء الأعمال ما هي ، فبُين ذلك بقوله : (إن الأبرار لفي نعيم).

وأيضاً تتضمن هذه الجملة تقسيم أصحاب الأعمال فهي تفصيل لجملة (يعلمون ما تفعلون) وذلك من مقتضيات فصل الجملة عن التي قبلها . وجيء بالكلام مؤكداً بـ "إن" ولا الابتداء ليساوي البيانُ مبيّنهُ في التحقيق ودفع الإنكار . وكرر التأكيد مع الجملة المعطوفة للاهتمام بتحقيق كونهم في جحيم لا يطمعوا في مفارقته[٢].

وجيء بقوله (وما هم عنها بغائبين) جملة اسمية دون أن يقال : وما يغيبون عنها ، أو وما يفارقونها ، لإفادة الاسمية الثبات سواء في الإثبات أو النفي ، فالثّبات حالة للنسبة الخبرية سواء كانت نسبة إثبات أو نسبة نفي ،

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد- لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ) ت: أحمد عبد الله القرشي رسلان- ط دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ. ج٧/ ٢٥٦.
(٢) التحرير والتنوير ج٣٠/ ١٨١، ١٨٢

وزيادة الباء لتأكيد النفي . وتقديم (عنها) على متعلقه للاهتمام بالمجرور ، وللرعاية على الفاصلة[١] .

كما جاءت فواصل هذا المعقد بين النون والميم، واتفقت كل جملتين متتاليتين تقريبا في حرف الفاصلة، وكان هناك ترصيع بين (إن الأبرار لفي نعيم) و(إن الفجار لفي جحيم) على رأي بعض أهل العلم[٢]، وإن كان ورود لفظة (إن) و (لفي) في التركيبين مخالف لشرط الترصيع، لأن شرط الترصيع اختلاف الكلمات في التركيبين جميعا.

وهكذا تصاعد المعنى من علامات اليوم الآخر إلى موقف الإنسان فيه وعتاب الله له، وانقسام الناس بين بر وفاجر.

(١) التحرير والتنوير ج٣٠/ ١٨٣

(٢) الفاصلة في اللقرآن الكريم- محمد الحسناوي- المكتب الإسلامي- بيروت- ط٢- ١٩٨٦م. ص ١٥٠

المعقد الرابع والأخير: من آية ١٧ - إلى آخر السورة وفيه تصوير لهول هذا اليوم وضخامته.

يقول تعالى: وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۞ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۞ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ۞

ولما كان يوم الدين هو موضع التكذيب ، فإنه يعود إليه بعد تقرير ما يقع فيه . يعود إليه ليقرر حقيقته الذاتية في تضخيم وتهويل بالتجهيل وبما يصيب النفوس فيه من عجز كامل وتجرد من كل شبهة في عون أو تعاون . وليقرر تفرد الله بالأمر في ذلك اليوم العصيب :

{ وما أدراك ما يوم الدين؟ ثم ما أدراك ما يوم الدين؟ يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً ، والأمر يومئذ لله } . .

والسؤال للتجهيل مألوف في التعبير القرآني . وهو يوقع في الحس أن الأمر أعظم جداً وأهول جداً من أن يحيط به إدراك البشر المحدود . فهو فوق كل تصور وفوق كل توقع وفوق كل مألوف. وتكرار السؤال يزيد في الاستهوال. ثم يجيء البيان بما يتناسق مع هذا التصوير : { يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً } . . فهو العجز الشامل . وهو الشلل الكامل. وهو الانحسار والانكماش والانفصال بين النفوس المشغولة بهمها وحملها عن كل من تعرف من النفوس! { والأمر يومئذ لله } . . يتفرد به سبحانه . وهو المتفرد بالأمر في الدنيا والآخرة . ولكن في هذا اليوم يوم الدين تتجلى هذه الحقيقة التي قد يغفل

عنها في الدنيا الغافلون المغرورون . فلا يعود بها خفاء ، ولا تغيب عن مخدوع ولا مفتون! (١)

والاستفهام الأول مستعمل كناية عن تعظيم أمر اليوم وتهويله بحيث يَسْأل المتكلم من يسمعه عن الشيء الذي يحصِّل له الدراية بكنه ذلك اليوم ، والمقصود أنه لا تصل إلى كنهه دراية دارٍ . والاستفهام الثاني حقيقي ، أي سئال سائل عن حقيقة يوم الدين كما تقول : علمت هل زيد قائم ، أي علمت جواب هذا السؤال . ومثل هذا التركيب مما جرى مجرى المثل فلا يغير لفظه.تكرير للتهويل تكريراً يؤذن بزيادته ، أي تجاوزه حدّ الوصف والتعبير فهو من التوكيد اللفظي ، وقرن هذا بحرف) ثمّ (الذي شأنه إذا عطف جملة على أخرى أن يفيد التراخي الرتبي ، أي تباعد الرتبة في الغرض المسوق له الكلام، وهي في هذا المقام رتبة العظمة والتهويل ، فالتراخي فيها هو الزيادة. (٢)

ومعلوم أَنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا كَانُوا يَتَغَلَّبُونَ عَلَى الْمُلْكِ وَيُعِينُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي أُمُورٍ، وَيَحْمِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بطل ملك بنى الدنيا وزالت رئاستهم، فَلَا يَحْمِي أَحَدٌ أَحَدًا، وَلَا يُغْنِي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ، وَلَا يَتَغَلَّبُ أَحَدٌ عَلَى مُلْكٍ، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ: وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ وَقَوْلُهُ: مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ [الْفَاتِحَةِ: ٤] وَهُوَ وَعِيدٌ عَظِيمٌ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ عَرَّفَهُمْ أَنَّهُ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ إِلَّا الْبِرُّ وَالطَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ دُونَ سَائِرِ مَا كَانَ قَدْ يُغْنِي عَنْهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنْ مَالٍ وَوَلَدٍ وَأَعْوَانٍ وَشُفَعَاءَ. وَأَمَّا قَوْلُهُ: وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ فَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْبَقَاءَ وَالْوُجُودَ لِلَّهِ، وَالْأَمْرُ كَذَلِكَ فِي الْأَزَلِ وَفِي الْيَوْمِ وَفِي الْآخِرَةِ، وَلَمْ يَتَغَيَّرْ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، فَالتَّفَاوُتُ عَائِدٌ إِلَى

(١) الظلال ج٦/ ٣٨٥٢

(٢) التحرير والتنوير ج٣٠/ ١٨٣، ١٨٤.

أَحْوَالِ النَّاظِرِ، لَا إِلَى أَحْوَالِ الْمَنْظُورِ إِلَيْهِ، فَالْكَامِلُونَ لَا تَتَفَاوَتُ أَحْوَالُهُمْ بِحَسَبِ تَفَاوُتِ الْأَوْقَاتِ، كَمَا قَالَ: لَوْ كُشِفَ/ الْغِطَاءُ مَا ازْدَدْتُ يَقِينًا[1].

ولما علم أن الوعيد الأعظم يوم الدين، هول أمره بالسؤال عنه إعلاماً بأنه أهل لأن يصرف العمر إلى الاعتناء بأمره والسؤال عن حقيقة حاله سؤال إيمان وإذعان لا سؤال كفران وطغيان، ليكون أقعد في الوعيد به فقال: {وما أدراك} أي أعلمك وإن اجتهدت في طلب الدراية به {ما يوم الدين } أي أيّ شيء هو في طوله وأهواله وفظاعته وزلزاله. ولما كانت أهواله زائدة على الحد، كرر ذلك السؤال لذلك الحال فقال معبراً بأداة التراخي زيادة في التهويل: {ثم ما أدراك} أي كذلك {ما يوم الدين} [2].

وختام السورة هنا مطابق لابتدائها، فقد بدأ بالشرط مضمنا فعل الشرط المتعدد علامات هذا اليوم العصيب، ثم ختم السورة بأن هذا اليوم كل الأمور فيه لله وحده، ولن تملك فيه نفس لنفس شيئا، بل تجردت كل الكائنات من حولها وقوتها، ولم يبق إلى المولى الكريم.

وكما أن المطلع بداية المعنى وفيه إشارة للمقصود الأعظم، وهو الطرف الأول للمعنى، فإن الختام يمثل الطرف الآخر الذي يحط المعنى المقصود السورة رحاله عنده، وفي الذكر الحكيم خاتمة السورة كمطلعها، "فإن الله تعالى ختم

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٣١/ ٨٦.
(٢) نظم الدرر المجلد ٨ / ٣٥٢

كل سورة من السور بأحسن ختام، وأتمها بأعجب إتمام، ختاما يطابق قصدها، ويؤدي معناها"[١].

وفي هذه السورة كان في الختام رد العجز على الصدر لأن أول السورة ابتدىء بالخبر عن بعض أحوال يوم الجزاء وختمت السورة ببعض أحواله[٢].
فكما بدأت بعلامات يوم الدين، وشرحت مآلات الناس في هذا اليوم الأبراروالمكذبين، ختمت بأن اللأمر كله لله في هذا اليوم العظيم.

برز المعنى واضحا جليا في مطلع السورة، وازداد وضوحا في بيان أحوال الإنسان حين يعاتبه ربه، وانقسام الناس إلى أبرار وفجار، والتأكيد ثانية على أن هذا الأمر كله لله.

❁❁❁❁❁

(١) الطراز للعلوي اليمني- دار الكتب العلمية بيروت- ج٣/ ١٨٣.
(٢) التحرير والتنوير ج٣٠/ ١٨٥

الخاتمة

وضح من البحث عن حركة المعنى في سورة الانفطار:

- **أن المعنى في السورة القرآنية يظهر جليا في مطلعها، وإن لم يعبر عنه صراحة وهو يرمي إلى الغرض الرئيس من السورة.**
- **أن سورة الانفطار كانت تتمة للمعنى الرئيس لسورة التكوير، وأسست لمعنى سيفصل فيه القول في المطففين، مما يدل على أن الترتيب المصحفي فيه من الإعجاز ما لا يقل أهمية عن الإعجاز النظمي، فالقرآن سوره آخذة بعضد بعضها، لا تنتهي سورة إلا وتبدأ أختها مكملة وراءها المعنى، متممة ومبرهنة على أنه عقد لآلئ لا تختلف فيه لؤلؤة عن أخرى في الإحكام والإجادة والإعجاز.**
- **في نهاية الانفطار تجد المعنى وقد سلم به قلب المؤمن الذي يتأتى منه الإبصار، وهو يشاهد رأي عين أحداث القيامة أمامه، فيؤمن أنها الحق، وأن الأمر يومئذ لله.**
- **استخدام التكرير مع أسلوب الاستفهام في ختام السورة أفاد تصاعدا في أداء المعنى الذي يقرع السمع تكراره من ناحية، وتهويل أمره بالاستفهام من ناحية أخرى.**
- **تأسيس معنى جديد لم يذكر في التكوير، وهو انقسام الناس لأبرار وفجار، وهو ما سيفصل فيه القول في المطففين، والانشقاق.**
- **وضحت حركة المعنى ، في مطلع السورة ومعاقدها حتى ختامها، وأكدت على أن يوم الدين حق، وهو من أسس العقيدة، والمشار إليه في أم الكتاب بـ (مالك يوم الدين). وحذرت من الاغترار بإمهال رب العالمين، ليحط المعنى رحاله عند قوله تعالى : ﴿ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴾ الانفطار: ١٩ .**

المصـــادر

- أثر السياق فى اصطفاء الأساليب دراسة بلاغية – مكتبة وهبة ط٢- ٢٠١٩م.
- إحياء علوم الدين للغزالى- دار الغد العربى ط٣ .
- أسرار البلاغة القرآنية فى سورة تبت يدا أبى لهب د/ محمود توفيق – مكتبة وهبة ط١/٢٠١٧ م.
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد- لأبي العباس أحمد بن محمد ابن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ) ت: أحمد عبد الله القرشي رسلان- ط دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ.
- البرهان فى تناسب سور القرآن لابن الزبير الثقفى – تحقيق د/ سعد ابن جمعة دار ابن الجوزى ط١- ١٤٢٨ هـ.
- البرهان فى علوم القرآن للإمام الزركشى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط٣- دار الفكر ١٩٨٠م.
- تحرير التحبير لابن أبي الاصبع المصري- ت: د/ حفني شرف- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور – دار سحنون- تونس.
- تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود. دار الكتب العلمية- بيروت- ط١- ١٩٩٩م .
- التفسير الكبير للفخر الرازي- دار إحياء التراث العربي- بيروت ط٣- د. ت.
- الجامع الصحيح لسنن الترمذى لأبى عيسى محمد بن سورة، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر – دار الحديث بالقاهرة .

- الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى الداء والواء لابن قيم الجوزية – دار الكتب العلمية– بيروت .
- حركة المعنى فى سورة الفجر: دراسة بلاغية د/ إبراهيم صلاح الهدهد – مكتبة وهبة ط٢ ٢٠١٩م .
- حسن الابتداء في سور القرآن الكريم دراسة تطبيقية. د/ عبد المجيد عبد المجيد هنداوي. د.ط سنة ١٩٩٩م.
- درة التنزيل وغرة التأويل في بيان المتشابهات في كتاب الله العزيز للخطيب الإسكافي– دار الآفاق الجديدة – بيروت.ط٤– ١٩٨١م.
- شروح التلخيص – دار السرور بيروت.
- الطراز للعلوي اليمني– دار الكتب العلمية بيروت.
- العزف على أنوار الذكر– معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآنى فى سياق السورة– د/ محمود توفيق ط/١٤٢٤هـ .
- علاقة المطالع بالمقاصد فى القرآن الكريم دراسة بلاغية د/ إبراهيم صلاح الهدهد – مكتبة وهبة ط٢/٢٠١٩م.
- الفاصلة في القرآن الكريم– محمد الحسناوي– المكتب الإسلامي– بيروت– ط٢– ١٩٨٦م.
- فى ظلال القرآن لسيد قطب– دار الشروق.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو ابن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)– دار المعرفة – بيروت .
- محاسن التأويل للقاسمى – ت محمد باسل عيون السود – دار الكتب العلمية ط١ ١٤١٨هـ .
- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور للبقاعى تحقيق د/ عبدالسميع محمد حسنين مكتبة المعارف بالرياض ط١.

- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل للإمام الحافظ العلامة أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي- دار الكتب العلمية . بيروت.
- من أسرار التعبير القرآنى دراسة تحليلية لسورة الأحزاب د/ محمد محمد أبو موسى – مكتبة وهبة ط٢ ١٩٩٦م.
- نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور للبقاعى دار الكتب العلمية- بيروت ط٣ ٢٠٠٦م .
- النظم الفنى فى القرآن للشيخ عبدالمتعال الصعيدى- مكتبة الآداب- القاهرة.